أرض الشبـــــاب

حَدَثَ فى قَدِيمِ الزَّمَانِ أَنَّ قَيْصَرًا مِنْ قَيَاصِرَةِ الرُّوسِ مَرِضَ مَرَضًا شَدِيدًا عَجَزَ عَنْ مُدَاوَاتِهِ أَمْهَرُ الْأَطِبَّاءِ. وَلَمَّا سَاءَتْ حَالُهُ تَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ إِحْدَى عَجَائِزِ الْقَصْرِ قَائِلَةً: «لَقَدْ سَمِعْتُ يَا مَوْلَايَ فِى صِغَرِى أَنَّ هُنَاكَ أَرْضًا تُسَمَّى أَرْضَ الشَّبَابِ، فِيهَا فَوَّارَةٌ مَسْحُورَةٌ يَتَدَفَّقُ مِنْهَا مَاءُ الْحَيَاةِ. فَأَرْسِلْ أَحَدَ أَبْنَائِكَ يَمْلَأْ زُجَاجَةً مِنْ هٰذَا الْمَاءِ». وَفِى الْحَالِ دَعَا الْقَيْصَرُ ابْنَهُ الْأَكْبَرَ الْأَمِيرَ مِيخَائِيلَ، وَزَوَّدَهُ بِمَبْلَغٍ كَبِيرٍ مِنَ الْمَالِ. وَخَرَجَ لِلْبَحْثِ عَنْ أَرْضِ الشَّبَابِ. غَيْرَ أَنَّهُ مَرَّ فِى طَرِيقِهِ بِمَدِينَةِ الْمَلَذَّاتِ، وَبَقِىَ فِيهَا، وَنَسِىَ أَبَاهُ. وَلَمَّا أَبْطَأَ وَلَمْ يَعُدْ أَرْسَلَ الْقَيْصَرُ ابْنَهُ الثَّانِىَ الْأَمِيرَ بُطْرُسَ، بَعْدَ أَنْ زَوَّدَهُ بِمَبْلَغٍ كَبِيرٍ مِنَ الْمَالِ. وَلٰكِنَّهُ الْتَقَى بِأَخِيهِ فِى مَدِينَةِ الْمَلَذَّاتِ، وَبَقِىَ مَعَهُ. وَشَاهَدَ الِابْنُ الثَّالِثُ الْأَمِيرُ فْلَادِمِيرُ حَالَةَ وَالِدِهِ وَتَدَهْوُرَ صِحَّتِهِ. فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْمَحَ لَهُ بِالسَّفَرِ وَالْبَحْثِ عَنْ أَرْضِ الشَّبَابِ فَخَشِىَ الْقَيْصَرُ أَنْ يَفْقِدَ ابْنَهُ الثَّالِثَ بَعْدَ أَنْ فَقَدَ وَلَدَيْهِ. وَلَمْ يُوَافِقْ عَلَى سَفَرِهِ، وَلٰكِنَّ فْلَادِمِيرَ لَمْ يُطِقْ صَبْرًا عَلَى رُؤْيَةِ أَبِيهِ فِى هٰذِهِ الْحَالِ السَّيِّئَةِ. فَأَخَذَ قَلِيلًا مِنْ مَالِهِ الْمُدَّخَرِ، وَسَافَرَ خُلْسَةً مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْلَمَ بِسَفَرِهِ أَحَدٌ. فَمَرَّ بِمَدِينَةِ الْمَلَذَّاتِ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، وَسَارَ وَحِيدًا يَقْطَعُ الْقِفَارَ وَالصَّحْرَاءَ مُدَّةَ عِشْرِينَ يَوْمًا، حَتَّى وَصَلَ إِلَى بَحْرٍ كَبِيرٍ، فَوَجَدَ بِجِوَارِهِ عَجُوزًا هَرِمَةً. فَحَيَّاهَا، وَسَأَلَهَا عَنْ أَرْضِ الشَّبَابِ. فَقَالَتْ: «إِنِّى لِى مِنَ الْعُمْرِ أَلْفَ سَنَةٍ، وَلَمْ أَسْمَعْ فِى حَيَاتِى الطَّوِيلَةِ عَنْ أَرْضِ الشَّبَابِ هٰذِهِ وَلٰكِنِ انْتَظِرْ، فَرُبَّمَا يَعْرِفُ أُخْتِى شَيْئًا عَنْهَا». ثُمَّ سَارَتْ بِهِ نَحْوَ الشَّاطِئِ وَنَفَخَتْ فِى بُوقِهَا، فَاضْطَرَبَ مَاءُ الْبَحْرِ، وَعَلَاهُ الزَّبَدُ، وَأَقْبَلَ نَحْوَهَا مَلَايِينُ الْأَسْمَاكِ. وَلٰكِنَّ وَاحِدَةً مِنْهَا لَمْ تَعْرِفْ مَكَانَ أَرْضِ الشَّبَابِ. وَعِنْدَ مَا هَمَّ فْلَادِمِيرُ بِالِانْصِرَافِ أَقْبَلَ حُوتٌ كَبِيرٌ، فَقَالَتْ لَهُ الْعَجُوزُ: «هَلْ يُمْكِنُكَ أَنْ تَصْحَبَ هٰذَا الْفَتَى الْجَرِىءَ إِلَى أَرْضِ الشَّبَابِ؟». فَقَالَ الْحُوتُ: «نَعَمْ، وَلٰكِنْ يَجِبُ أَنْ يَنْتَظِرَ إِلَى مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ، فَفِى ذٰلِكَ الْوَقْتِ تَكُونُ جِنِّيَّةُ الْفَوَّارَةِ وَتِنِّينَاهَا (Dragons) نَائِمَيْنِ.

وَعِنْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ رَكِبَ فْلَادِمِيرُ عَلَى ظَهْرِ الْحُوتِ، فَحَمَلَهُ بِسُرْعَةِ الْبَرْقِ إِلَى الْأَرْضِ الْمَسْحُورَةِ. وَهُنَاكَ نَزَلَ وَتَسَلَّلَ إِلَى الْفَوَّارَةِ، فَوَجَدَ الْجِنِّيَّةَ نَائِمَةً بِجِوَارِ التِّنِّينَيْنِ، وَبِكُلِّ هُدُوءٍ مَلَأَ زُجَاجَتَيْنِ مِنْ مَاءِ

الْحَيَاةِ . وَعِنْدَ مَا انْتَهَى مِنْ عَمَلِهِ ، وَهَمَّ بِالْعَوْدَةِ وَقَعَ بَصَرُهُ عَلَى الْجِنِّيَّةِ فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ ، فَبَهَرَهُ جَمَالُهَا ، وَحَنَّ قَلْبُهُ إِلَيْهَا . فَصَمَّمَ عَلَى الْعَوْدَةِ إِلَيْهَا بَعْدَ مُعَالَجَةِ أَبِيهِ ، مَهْمَا كَلَّفَهُ ذَلِكَ مِنَ الْمَتَاعِبِ وَالْمَشَاقِّ . وَكَانَ يَحْمِلُ حَوْلَ عُنُقِهِ عِقْدًا مِنَ الْأَحْجَارِ الْكَرِيمَةِ فِي وَسَطِهِ صُورَتُهُ ، فَخَلَعَهُ وَوَضَعَهُ حَوْلَ عُنُقِ الْجِنِّيَّةِ تَذْكَارًا لِحُبِّهِ لَهَا .

اللَّؤْلُؤَةُ فِي مَحَلٍّ عَظِيمٍ فِي حَدِيقَةِ قَصْرِهِ ، وَأَعْلَنَ

ثُمَّ تَرَكَهَا ، وَعَادَ عَلَى ظَهْرِ الْحُوتِ إِلَى حَيْثُ السَّيِّدَةُ الْعَجُوزُ ، وَأَعْطَاهَا إِحْدَى الزُّجَاجَتَيْنِ ، فَشَرِبَتْ مِنْهَا ، وَعَادَتْ إِلَيْهَا فِي الْحَالِ نَضْرَةُ الشَّبَابِ ، وَصَارَتْ فَتَاةً ذَاتَ حُسْنٍ وَجَمَالٍ .

ثُمَّ وَدَّعَهَا بَعْدَ أَنْ شَكَرَهَا عَلَى مُسَاعَدَتِهَا ، وَشَكَرَتْهُ عَلَى عَوْدَةِ شَبَابِهَا . وَأَخَذَ يَقْطَعُ الْقِفَارَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى مَدِينَةِ الْمَلَذَّاتِ ، وَالْتَقَى بِأَخَوَيْهِ ، وَأَخْبَرَهُمَا بِمَا كَانَ . فَحَنِقَا عَلَيْهِ حَسَدًا بَعْدَ أَنْ فَقَدَا الْمَالَ وَالشَّرَفَ فِي مَدِينَةِ الْمَلَذَّاتِ . وَفَاجَأَهُ فِي الطَّرِيقِ بِضَرْبَةٍ قَضَتْ عَلَيْهِ . وَأَخَذَا الزُّجَاجَةَ ، وَقَدَّمَا الْمَاءَ إِلَى أَبِيهِمَا . فَشَرِبَ مِنْهُ فَعَادَتْ إِلَيْهِ الصِّحَّةُ وَفُتُوَّةُ الشَّبَابِ ، وَذَكَرَا لَهُ أَنَّ فَلَادِمِيرَ لَقِيَ حَتْفَهُ فِي الطَّرِيقِ . فَحَزِنَ عَلَيْهِ ، وَلَكِنَّ فَرَحَهُ بِشَبَابِهِ أَنْسَاهُ حُزْنَهُ . فَجَمَعَ وُزَرَاءَهُ وَكِبَارَ رِجَالِ وَسْطَ الْجَمِيعِ أَنَّهُ تَنَازَلَ عَنِ الْمُلْكِ لِوَلَدَيْهِ ، وَأَنَّ وَلَدَهُ مِيخَائِيلَ أَصْبَحَ حَاكِمًا عَلَى رُوسْيَا الشَّمَالِيَّةِ ، وَوَلَدَهُ بُطْرُسَ حَاكِمًا عَلَى رُوسْيَا الْجَنُوبِيَّةِ — وَمَا كَادَ يَنْطِقُ بِهَذَا الْكَلَامِ حَتَّى انْقَضَّ عَلَى كُلٍّ مِنَ الْأَمِيرَيْنِ الْآثِمَيْنِ تِنِّينٌ هَائِلٌ مِنَ السَّمَاءِ ، فَقَتَلَاهُمَا فِي الْحَالِ . وَكَانَ عَلَى ظَهْرِ تِنِّينٍ مِنْهُمَا الْأَمِيرُ فَلَادِمِيرُ ، وَعَلَى ظَهْرِ التِّنِّينِ الْآخَرِ جِنِّيَّةٌ فَوَّارَةُ أَرْضِ الشَّبَابِ . ذَلِكَ أَنَّ الْجِنِّيَّةَ لَمَّا قَامَتْ مِنْ نَوْمِهَا وَوَجَدَتْ عِقْدَ الْجَوَاهِرِ حَوْلَ عُنُقِهَا ، وَقَعَتْ فِي حُبِّ صَاحِبِ الصُّورَةِ ، وَقَامَتْ لِسَاعَتِهَا ، وَمَعَهَا التِّنِّينَانِ لِلْبَحْثِ عَنْهُ . فَوَجَدَتْهُ قَتِيلًا فِي الْبَادِيَةِ فَرَشَّتْ عَلَيْهِ مَاءَ الْحَيَاةِ ، فَعَادَ بِإِذْنِ اللهِ حَيًّا كَمَا كَانَ . وَأَخْبَرَهَا بِمَا كَانَ مِنْ أَخَوَيْهِ . فَصَمَّمَتْ عَلَى الِانْتِقَامِ مِنْهُمَا ، وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ . ثُمَّ إِنَّ الْجِنِّيَّةَ قَصَّتْ عَلَى الْمَلِكِ وَالْحَاضِرِينَ قِصَّةَ فَلَادِمِيرَ وَمَا حَدَثَ مِنْ أَخَوَيْهِ ، وَأَنَّهُمَا لِذَلِكَ اسْتَحَقَّا انْتِقَامَهَا جَزَاءً وِفَاقًا . وَفِي الْحَالِ ارْتَفَعَ التِّنِّينَانِ إِلَى السَّحَابِ ، وَعَادَ فَلَادِمِيرُ مَعَ الْجِنِّيَّةِ إِلَى أَرْضِ الصِّبَا وَالشَّبَابِ . وَلَا زَالَ هَذَانِ الْحَبِيبَانِ يَعِيشَانِ وَيَنْعَمَانِ بِالشَّبَابِ وَالْحُبِّ وَالسَّعَادَةِ إِلَى الْآنَ .